التجربة النبوية
عند سروش وشبستري وتحليلها

الباحثة: زهراء حسين حسون الحسيني
أ.م. د. سعد جاسم لفتة الكعبي

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

الملـخّـص

فسر بعض المفكرين ظاهرة الوحي تفسير مادي وبشري ما جعل هذه الظاهرة امراً مادياً بشرياً وليس إلهياً ميتافيزيقياً، وقد تناول البحث عرض مختصر للتجربة الدينية بصورة عامة، وبيان المغالطة التي وقع بها بعض المفكرين امثال الدكتور سروش وشبستري من اعتبار الوحي تجربة دينية.

وبيان أوجه الاختلاف والتشابه بين الوحي والتجربة الدينية، واستعراض ماهية التجربة النبوية و مناقشتها، ولم يختلف في الرد على الدكتور شبستري في الجملة عما كان على الدكتور سروش وقد خلص البحث الى بيان المغالطة الواضحة التي وقع فيها القائلون بالتجربة النبوية وبيان الغرض المحتمل من هذا الادعاء، بالإضافة الى ضرورة تحديد مساحة البحث العقلي؛ اذ ليس كل مجال يكون فيه للعقل مسرح، كما أن الهداية النبوية تستند في كثير من مخرجاتها الى المعرفة الوحيانيّة الالهية التي لا يصل اليها العقل المحدود بل يعترف بعجزه عن ادراك جملة من الغيبيات.

الكلمات المفتاحية: التجربة النبوية، الوحي، الفضاء المعرفي، بسط التجربة- تكامل الوحي.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

Summary

The material and human interpretation of the phenomenon of revelation is what sothinkers have sought to make of this phenomenon as something material, human and not metaphysical. Revelation is a .religious experience

And clarifying the differences and similarities between revelation and religious experience, and reviewing and discussing the nature of the prophetic experience, and the response to Dr. Shabestari in general did not differ from what Dr. Soroush had. An indication of the possible purpose of this claim, in addition to the inevitable limitation of the area of mental research; Because not every field in which the mind is a theater. And that the prophetic guidance is based in many of its outputs on the divine revelation knowledge that the limited mind does not reach, but rather it admits its inability to comprehend a number of the unseen

key words: The Prophetic Experience - Revelation - Cognitive Space - Extension of the Experience - Integration of Revelation.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

مقدمة

التحليل البشري للوحي وقريب من هذا التحليل، ما سعى إليه بعضهم من جعل ظاهرة الوحي أمراً طبيعياً وأرضياً وليس إلهيا ميتافيزيقياً. وهذه النظرية تارة يتم بيانها بالاعتماد على لغة علم النفس والاجتماع الحديث والعلوم الاجتماعية، فترى في المعرفة الحاصلة من الوحي تبلوراً للشخصية الباطنية أو نبوغاً شخصياً واجتماعياً، وأخرى بتأويلها ضمن دائرة (المكاشفات والتجارب الداخلية) التي حصلت لشخص النبي (ص) والظروف الاجتماعية التي عاشها آنذاك، وهذه التجارب قد تستمر لدى الآخرين، وثالثة يتم بيانها باسم العقلانية، والعلم الحديث، ومنهج النقد التاريخي، علم الأساطير وأسماء أخرى، وعلى هذا الأساس يتم، عن علم أو عن جهل، لتعريف الوحي بطريقة عصرية وبشرية [1].

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

المبحث الاول
ماهية التجربة الدينية

المطلب الاول: حصر الدين بالتجربة الدينية:

"فُسرت التجربة الدينية بمعانٍ مختلفة من الإدراك والشعور والحقيقة غير القابلة للتفسير"[2]، ولا يخفى على المتتبع ملاحظة استغلال فكرة (التجربة الدينية) لغرض صرف النظر عن التعاليم الثابتة في الدين وذلك من خلال تضخيم صورة التجربة المدعاة بشكل شخصي حتى تشغل موقعاً محورياً مركزياً بالدين المعني، وتهميش وتحجيم سائر التعاليم والثوابت في المنظومة الفكرية للدين، حتى تحتل هذه التعاليم والثوابت موقعا هامشيا وشبه مهمل لصالح تلك التجربة، فأي دعوى واي فكرة عن الدين لابد أن تتطابق مع الدين فللدين هوية مكتملة ليكون جاهزا لمعتنقيه بحسب تلك الهوية لا انه ينتظر في رسم هويته نفس المعتنقين له ليرسموه كما توحي أفكارهم وتجاربهم واوهامهم، والدين يجب أن يكون جاهزاً ليرشد الناس إلى ثوابته، لا ان يكون الإنسان ذاته مرشد نفسه في تحديد ثوابت الدين بالاعتماد على ما يحمل في ذهنه تحت عنوان التجربة الدينية. والمقصود من جاهزية الدين هنا اكتمال ماهية نظامه بحيث لا يؤدي عنصر التجديد والابداع ضمن الإطار العام لذلك النظام إلى مسخ تلك الماهية، فجاهزية الدين اذن لا تتعارض مع الإبداع والاجتهاد والتجديد فيه وينبغي قبولها بما هي هي، لا ان ندعي لها ما ليس فيها بواسطة التجربة الدينية [3].

المطلب الثاني: مغالطة التشابه بين الوحي والتجربة الدينية:

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

هناك من يصر على أن الوحي الإلهي نوعاً من التجربة الدينية، بل ويعتبر الوحي هو التجربة الدينية في المصطلح الجديد والمقوم لشخصية الأنبياء بحسب تعبيره، إلا أن هذا يمهد السبيل للعديد من المغالطات، فمثلا طبقا لما يعتقده الدكتور سروش في بسط التجربة النبوية يعد الوحي تجربة دينية، وبذلك فإن الوحي يصل إلى مرحلة التكامل والنضج بفعل التكرار؛ لأن هذه هي طبيعة التجربة، وبذلك توصل سروش إلى نتيجة مفادها أن النبي بمرور الزمن وتكرار الوحي وتتابع نزوله أضحى أكثر بصيرة وإدراكا للرسالة والمسؤولية المناطة به، كما يحصل ذلك للعالم في مجال اختصاصه وعمله بفعل التكرار والتجربة(4)، والمغالطة الموجودة هنا هي من نوع المغالطة في الاشتراك اللفظي التي لا يخفى بطلانها؛ لأن التجربة في مصطلح التجربة الدينية تختلف عن التجربة بمعنى الاختبار في مجال العلوم التجريبية، والعلاقة بينهما يشبه الاشتراك اللفظي ،وهناك اختلاف وانتقال في مفردة التجربة من معنى التجربة والاختبار الى كونها استعملت في الانكليزية المتأخرة في معان أخرى مختلفة مثل الإحساس والحالة والادراك، وان المراد من الخبرة الدينيّة في الفلسفة الدينية هو المعاني الأخيرة؛ ولأن الدكتور سروش لم يلتفت إلى هذا الإختلاف لذا وقع الاشتباه، أو مغالطة ثانية حيث يعتقد بأن الوحي لما كان تجربة دينية، وأن التجربة الدينية تحدث لكل الناس ؛ لذلك فإن تجارب الآخرين الدينية تزيد الدين ثراء، ومع مرور الزمن يحدث بسط وتوسعة في الدين، وبعبارة أخرى: إن تجربة العرفاء الدينية مكملة ومتممة وموسعة لتجارب الأنبياء الدينية، ونتيجة لذلك فإن دين الله سيبلغ مرحلة النضج والكمال بالتدريج، وإن هذا النضج والبسط والاتساع لا

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

يكون في المعرفة الدينية، بل في نفس الدين والشريعة[5].

المطلب الثالث: الاختلاف بين الوحي والتجربة الدينية:

من نقاط الاختلاف بين الوحي والتجربة الدينية ما يلي:

١- إن من أهم خصائص الوحي صحته وعصمته كما تم بيانه من خصائص، وذلك من اخص خصائص الوحي، قال تعالى : ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾[6]؛ لأن الريب والشك إنما يكون في الموارد التي يمتزج فيها الحق بالباطل ،حيث أطلق القول ولم يقيد، فما من خلط أو دس إلا ويدفعه القرآن ويظهر زيف صاحبه[7]، وهذا ما يمكن تصوره في حق الكشوفات التي تحصل للعرفاء، فقد يتراءى للعارف صوراً خيالية ويحسبها واقعية، فهو معرفة إلهية معصومة لأنها صادرة من الكمال المطلق لذا صارت ميزان لغيرها، بينما المعرفة البشرية يعتريها النقص لأن البشر معرض للخطأ.

فالنبي يتلقى الوحي من موطن "لدن" كما في قوله تعالى ﴿وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾[8]. وهو موطن لا يقبل الشك ولا الريب لان ذلك يكون في مورد يوجد فيه حق وباطل، وفيما يجهل الإنسان الحق من الباطل، ولكن حيث لامجال للباطل، لن يكون مجال لذلك.

٢-العارف في تجربته الدينية إنما يتحدث عن خصوص تجربته، والتي ربما يعتريها النقص و الخطأ أو التأثر بثقافة العصر او ذهنية العارف وظروفه أما الوحي على العكس من ذلك فإن الله تعالى ضمن صحته وحفظه[9].

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

٣-إن الوحي لا يمكن اكتشافه بالاختبار والتجربة. وهو التعليم في ذاته ومعلمه هو الله سبحانه. وهو يختلف عن التجارب الشخصية التي تكتشف بالاختبار والتجربة[10].

٤-إن الوحي يحمل في طياته رسالة يتعين على النبي حملها و إيصالها إلى الناس[11] .

٥-الوحي من سنخ العلم الحضوري وهو اكمل صوره؛ فهو عبارة عن مشاهدة الحقيقة التي يتقوم ويكتمل بها وجود الإنسان ويجد به مقوم وجوده اي الله تعالى وكلامه كما يجد نفسه والوحي هو الوجدان؛ لأن النبي عندما كان يتلقى الوحي بوجدانه كان موقنا ومطمئنا بأن ما وجده هو الوحي. ولذلك فإن الوحي ليس من سنخ التجربة الدينية؛ ليحتاج إلى مشاهدات متكررة وخبرة متراكمة[12].

قال الإمام الصادق عليه السّلام في جوابه لمن سأله عن كيفية معرفة الأنبياء بأن ما يجدونه وحي: "يوفق لذلك حتى يعرفه"[13].

وهذا يعني أن التوفيق والتسديد الإلهي يرافق الأنبياء والمرسلين، فكما أن الإنسان يجد نفسه في نشأة الشهود بحيث لا يحتمل الخطأ، فإنه يجد الكلام الإلهي كذلك، بحيث لا يشك فيه قيد انملة؛ لأن ادراك الوحي أسمى وارقى وأعلى من إدراكه لنفسه[14].

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

المبحث الثاني
التجربة الدينية عند سروش

المطلب الاول: مضمون بسط التجربة النبوية:

يعتبر سروش ضرورة السعي دائما لإعادة تجديد الإيمان وقراءته، ومن أبرز الامور التي تحتاج لتجديد في القراءة اليوم هو الوحي والنبوة، والذي يصرح انه تجربة دينية للنبي، حتى لو كان رؤيا كما حصل مع ابراهيم. وهذه التجربة تعطي للأنبياء يقين وشجاعة ونهضة جديدة تمثل جوهرة النبوة. وقوام هذه الجوهرة احساس الأنبياء بمسؤولية القيام بإحياء نفوسهم ونفوس الآخرين، بعكس العارف الذي يذهب بمعراج النبي ولا يرجع؛ أما النبي لإحساسه بالمسؤولية فيطلب الرجوع لإنقاذ المجتمع كونه جزء من مسؤوليته النبوية, فالتجربة الدينية عنده مواجهة لأمر قدسي وتمثل مرحلة داخلية، وعودة النبي لعالم الخلق لإنقاذه ؛هو الذي يميز النبوة عن غيرها من التجارب الدينية وأن تجربة النبي وأن كانت أعلى التجارب، لا يعني أن تجارب الذين بعده لا تغني التجربة الدينية الإسلامية. وكما أن حسبنا كتاب الله شعار مرفوض كذلك حسبنا تجربة النبي شعار مرفوض كذلك. وبهذا يحاول سروش جعل التجارب بعد النبي بمثابة مرجع لوعينا للدين عموما بل ينظر لمفهوم الإمامة كذلك، فتجارب العرفاء و المفكرين لا يمكن اعتبارها شرحا للتجربة النبوية فقط فهذا خطأ عظيم بنظر سروش بل هي تكمل وتوسع. ويعتبر مهمة النبي (ص) انتهت بوفاته لكن تجربته لم تنته، وعلينا مواصلة التجربة ونغنيها اكثر مع الحفاظ على كونه في نفسه أعلى انموذج وشخصية

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

خاضت التجارب الدينية[15]. ويبدو الخلط عند الدكتور سروش بين الوحي الرسالي المسدد للأنبياء وبين الالهام المسدد لمن دونهم في القداسة, وهذه غفلة عن استعمال القرآن الكريم لكلمة الوحي في معناها اللغوي والاصطلاحي.

المطلب الثاني: توقفات في بسط التجربة النبوية عند سروش:

أولا-وجوب تجديد قراءة الوحي

١- نص مقولة سروش في التجديد يقول عبدالكريم سروش :" لا ينبغي القناعة بأي شيء قديم حتى بالإيمان القديم، وحتى بالهداية القديمة، وحتى بالإله القديم . فهذه الأمور كلها يجب أن تعاد دراستها من جديد انسجاما مع تطور الآفاق المعرفية للإنسان "[16].

٢- مناقشة هذه المقولة: يمكن للبحث مناقشة ذلك اولا من حلال التفرقة بين مرادين محتملين لهذا الطرح :

الاول : ان يكون المقصود منه الموضوعية وعدم التأثر بالمسبقات العقدية، اما الكلمات التي استعملها فهي مجرد تعبيرات مجازية.

الثاني : ظاهر عبارة الدكتور وهو ترك ما هو قديم حتى الإله القديم ؛فهذا الطرح لا يعدو كونه خطابا لامعاً وإنشاءً صرفاً؛ لأن الحقائق لا توزن بالزمن ولا تتأثر بالتقادم، فهل من المعقول إن يقال بإعادة النظر في المعادلات الرياضية اليقينية والقواعد الهندسية القطعية، بل يعاد النظر في البداهات والاوليات العقلية لا لشيء إلا لأنها قديمة! ولا ينبغي القناعة باي شيء قديم كما قيل !! والإيمان القديم بالله تعالى القديم - بحسب هذا التعبير -

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

من هذا القبيل فإن ذلك كله وليد البراهين القطعية المحكمة التي لا مدخل للزمان فيها.

على أن تحديد مساحة البحث العقلي أمر لازم قبل إطلاق عنان اللسان إذ ليس كل مجال للعقل فيه مسرح، والهداية النبوية تستند في كثير من مخرجاتها واستنتاجاتها إلى المعرفة الوحيانية الإلهية التي لا يرقى إليها العقل المحدود، بل يعترف العقل نفسه بقصور باعه وتحصيله في إدراك جملة من الغيبيات.

نعم يمكن قبول أصل هذا الطرح في المساحة النظرية من المعارف الدينية والتي يمكن تعميق النظر فيها بحسب تطور الفكر البشري ونبوغه، وهذا ما هو حاصل فعلا في الدراسات التخصصية تحت عنوان البحوث الاجتهادية.في الدراسات المعاصرة.

إن الله تعالى اصطفى هذا الدين لعباده و اصطفى من يحمله ويؤديه لطفا بالعباد وايصالهم لكمالهم المنشود قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(17).

ويتساءل البحث هل ما طرح مستند إلى عقل او شرع؟!

هل من قاعدة أو دليل تقول عليك الخروج وجعل فاصلة بينك وبين دينك كي تدافع عنه؟

ومن قال إن المسلمين يسيرون على التقليد دون تحقيق؟

واين هي القاعدة القائلة بأن كل قديم باطل؟! هل يدل عليها عقل او

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

نقل؟ هل يقبل عاقل أن نقول باستبدال الحقائق العلمية لان اكتشافها قديم؟! نعم، لو كانت نظريات محتملة وجاء ما ينقضها يجب استبدالها، لكن الحقائق لا يقول عاقل باستبدالها، وما اعتقاداتنا الجازمة الا حقائق عن لسان الوحي واتباع الوحي.

ثانياً - النبي القابل والفاعل للوحي

١- يجر مبدأ التكامل هذا إلى فكرة أشد أهمية عند سروش وهي مبدأ تأثير النبي في التجربة النبوية مقابل تبعيته المحضة للوحي؛ حيث أن النبي بتوسع قدراته وشخصيته بمرور التجارب، يترك بصمته على التجربة نفسها، أي على الوحي وبهذا يقرر سروش فكرة خطيرة، وهي تبعية الوحي للنبي وليس العكس(18).

٢ – المناقشة: و يلاحظ على هذا الادعاء :

أ- إن هذا الكلام المدعى يحوي مضافاً إلى ما فيه من تناقض داخلي على مغالطات كبيرة . ففي هذا الكلام يتدنى ويتنزل الوحي ليصبح بمستوى الإلهامات المتعارفة والترشحات الداخلية وهي قد تحصل لأي أحد تبعاً لظروفه الشخصية والاجتماعية ولا تختص بشخص النبي (ص)، كما يذكر هؤلاء صراحة أن كمال الدين هو حاصل هذه التجارب المستمرة والوحي أو الدين لم يكن يحويها مسبقاً! وبهذا لا يبقى دور لله عز وجل، ولعلمه وتدبيره في الهداية الخاصة للإنسان (19).

ب-ان هذه التنظيرات القائمة على أن النبي هو الخالق والموجد للوحي وانه عبارة عن إلهامات منبثقة من نفسه، واتحاد نفس النبي مع الله تعالى

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

ليست منعدمة الدليل فحسب بل مخالفة لأقوال النبي نفسه ومن ينظر كذلك بتجرد إلى القرآن يجد عشرات الآيات المخالفة لهذه الادعاءات، من قبيل قوله تعالى ﴿إن اتبع الا ما يوحى الي﴾[20]، وغيرها من الآيات الواضحة التصريح لهذه الحقيقة، فإذا قبل الدكتور سروش بظواهر هذه الآيات وهو الصواب، أما إذا أراد سلوك طريق التأويل تجاه هذه الآيات المحكمة فلابد أن يؤول نفسه لا ان يؤول الذكر الحكيم كما قال المولوي[21] .

ج-كما تم بحثه في فصل الاصطفاء، بأن عملية حمل الرسالة تكاملية تعتمد على المصطفي وهو الله تعالى والمصطفى النبي فهي تعلق تلقي الأنبياء للوحي واتيان المعجزة بالإذن الإلهي.

ح-اذا كان النبي موجدا وخالقا للقرآن فهذا يلزم نفي الخاتمية وتعدد وتسلسل الأنبياء والكتب السماوية.

خ-ان ظاهرة الوحي تتم وفق نظام إلهي مدروس ومنظم باصطفاء واختيار من تتوفر فيه خصائص حسب علمه السابق كما تقدم ذكره في الفصل الأول ،بأن الاصطفاء لطف يتفضل به الله تعالى على من يشاء بعد وجود الاستعداد والقابلية والارضية الصالحة لإفاضتها وهذا يعني ان هناك مرحلة تعتمد على المصطفَى وذلك بوجود الاستعداد. وفي الحديث عن الإمام ابي عبدالله الصادق: "أوحى الله (عز وجل) إلى موسى : أتدري لم اصطفيتك لكلامي دون خلقي؟؟ فقال لا يا رب، فقال: إني قلبت عبادي ظهراً لبطن، فلم أجد فيهم أحداً أذل لي منك نفسا، يا موسى إنك إذا صليت وضعت خديك على التراب"[22]. فالرواية تبين العله من اصطفاء نبي الله تعالى موسى لحمل

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

الرسالة الإلهية و تطبيقها فكيف يكون هو الخالق لها.

و-لو كان محمد (ص) هو مؤلف القرآن فكيف نفسر صمت هذا الكتاب عن ذلك الجانب الحيوي والهام من حياة البشر وحياة الرسول (ص) وصحابته؟ من ذكر ألفاظ كثيرة كانت في ذلك العصر لا يوجد لها ذكر في القرآن الكريم. فهل يعقل أن تكون له عليه السلام في هذه المسألة بل في كل المسائل التي يعالجها الكتاب شخصيتان منفصلتان كل هذا الانفصال؟

ان هذا غير ممكن لأنه مخالف لطبيعة الأمور، وخاصة أن القرآن كان في معظم الأحوال ينزل فور سؤال أو حادثة فلا يكون هناك وقت كافي يذكر بين سبب النزول والوحي يمكن أن يتعلل به المشككون بأن محمدا كان يتعمل في تأليف القرآن تعملا يباعد بينه وبين أسلوب الأحاديث. ثم لماذا يحرص على أن يخالف بين أسلوب القرآن وأسلوبه في الأحاديث؟ لكيلا يقول الكفار أن القرآن كلامه؟ ولكنهم قالوها فلم لم يقل لهم ولكن اسلوب كلامي يختلف عن أسلوب القرآن؟

ثم قبل ذلك هل كانت مسألة اختلاف الأساليب تبعا لاختلاف الشخص بهذا الوضوح في العقول وبهذه الدرجة من الاهمية في ذلك الوقت المبكر؟ وحتى لو سلمنا وتغاضينا عن كل ذلك أكان يمكن أن ينجح محمد (ص) في إخفاء شخصيته تماما من القرآن على هذا النحو[23]، على مدى ثلاثة وعشرين عاما، وفي ظروف مزعجة من شأنها أن تفسد كل تخطيط وتصنع؟ ثم إن محمدا (ص) لا يمكن أن يكون من ذلك النوع من الرجال، إذ كان الصدق ينضح من شخصيته وسلوكه نضحا، كما ثبت في صفات الأنبياء

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

الذاتية ومنها الصدق والأمانة حيث تعتبر السمة البارزة لهم[24].

وحتى لو افترضنا المستحيل وقلنا إنه كان متصنعا متكلفا يخفي أو يغير عباراته، أكان لديه كمبيوتر يغذيه بكل كلمة وعبارة مثلا يقولها على مدى تلك السنين الطويلة حتى يتجنب هذه العبارات وتلك الألفاظ فلا يضمنها هذا الوحي[25] .

وما دفع أصحاب شبهة بشرية القران وكون عربيته ليست إلهية وكون الوحي خضع للتطور بتطور النبي والمجتمع، للقول بها هو أمران:

الأول: كون طبيعة النبي (ص) بشرية والطبيعة البشرية خاضعة للتكامل والتطور فعند نزول الوحي في أوله لم يكن إلا بمقدار تحمل النبي (ص) .

الثاني: خضوع المجتمع للتطور شيئا فشيئا فالوحي في أوله مغاير له في آخره.

وهو اشتباه محض، فلا ملازمة بين تكامل وتطور النبي (ص) نحو الله تعالى والقرب منه وهو ما نتفق عليه - مع الالتزام بكونه اكمل واقرب البشر لله تعالى بكل المراحل - وبين تكامل الوحي وتطوره فقد تقدم أن نزول الوحي ناقصا في بدايته - بزعم أنه يناسب طاقة النبي (ص) - يلزم منه نقض الغرض وقد أشار القران لبطلان كون الوحي على وفق طاقة النبي (ص) قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[26].

كما أن تطور المجتمع في استلام وتطبيق الوحي لا يعني أن الوحي

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

أيضا يخضع للتكامل إذ لا ملازمة في ذلك فالوحي بواسطة النبي (ص) كان يغذي المجتمع بما عنده من تعاليم كل ما تطور المجتمع لا أنه تطور بتطور المجتمع، وهل سيبقى الوحي على نقصه لو لم يتطور المجتمع؟! (27).

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

المبحث الثالث

بشرية الوحي عند شبستري

المطلب الاول: مضمون نظرية شبستري:

يقترب شبستري من المعنى الذي يتبناه سروش من أن الوحي يمثل تجربة روحية للنبي يترجمها عبر الألفاظ إلى مجتمعه، وهذا الوحي يجب أن يُقرا ضمن فضاءات متعددة فهو يرى قراءة أهل الحديث والاشاعرة للنص مقبولة ضمن ذلك الفضاء الخاص بهم الذي كان لا يناقش ولا يتعمق في ما يسمعه" يعيش أهل الحديث في ذلك الفضاء الذي كان في عصر النبي الأكرم وفضاء عصر النبي والخلفاء الراشدين هو فضاء الاستماع والتسليم"[28].

وهكذا يرى مع المعتزلة والصوفية، فلا يعتبر شبستري ان مقولة الوحي بوصفها جملة من الفاظ وعبارات لغوية تشكل بمجموعها وحيا، ولكن المعيار لدى شبستري هو ما تحدثه تلك الالفاظ أو العبارات اللغوية من تأثير في المتلقين فهو يقول:"كلام الله هو الكلام الذي يشق أفق هذا العالم الباطني ويعمل على توسعة ويوصله الى مديات اعمق واوسع، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن الكلام انما يعتبر كلاما الهيا على اساس الأثر الذي يتركه في نفس السامع"[29]، فان هذا الفهم لطبيعة الوحي هو الفهم المرشح من نصوص شبستري، وبهذا الوصف يجعل الباب مفتوحا على مصراعيه بخصوص مسألة خاتمية الوحي استمراريته بعد موت المؤلف الاول ولا يرى قيمة لمقولات الفقهاء في الوحي لأنهم يتعاملون معه بأسلوب منطقي ولغوي جاف بينما يرى هو ان الوحي معنى باطني لذا يميل هو للمعنى الصوفي أكثر من

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

غيره وقد يلوح منه إن الوحي النبوي هو حالة صوفية لكنها بدرجة عالية جدا.

كما أنه لا يرى أي قيمة لتصديق المتلقين للوحي في إثبات صدقه وانما يرجع ذلك للفضاء الذي عاشوا فيه، بالتالي فهو يرى أن الوحي متغير بتغير الفضاء المعرفي.

والنتيجة النهائية أنه لا يرى في مقولة الوحي مقولة تعبر عن كلام الله، بل هي مقولة تتصل بمحمد النبي (ص)، فهي تتصل به باعتباره علامة مباشرة وهذه العلامة تنتج تأثيرا بالمتلقين أو المتلقي[30].

المطلب الثاني: مناقشة النظرية:

1- لا يختلف الرد على الدكتور شبستري في الجملة واختلاف الفضاءات المعرفية الذي تبناه لا دليل عليه بل الدليل على عكسه تماما، فإن الطبقة الأولى من الصحابة ليست قاصرة عن النقد و الإدراك و التعمق والروايات المثيرة شاهدة على ذلك.ومنها الرواية عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال:" سلوني قبل ان تفقدوني"[31].

2- ان القرآن الكريم شامل ومتضمن بيان لكل شيء ،وان اصل وكلية كل امر موجود ومذكور في القرآن وهذه الحقيقة مشهودة بشكل واضح وقد صرح بها القرآن الكريم وان علة عدم بلوغ عقول الرجال هي عدم الوصول لذلك العلم الكلي او القانون الكلي[32]، اما أولياء فهم امتداد للنبي (ص).

3-ان القول بان الوحي متغير بتغير الفضاء المعرفي ،يقتضي ان يكون الوحي ناقصا ومتغيرا، حيث ان الله تعالى انزل الوحي على انه برنامجا

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

يتضمن قوانين واحكام كلية تناسب كل الفضاءات ؛لان حاجة المجتمع الدائمة تقتضي ان يكون القانون كامل وثابت ،وخلاف ذلك كاشف عن العجز وعدم الحكمة وكلاهما منفيان في حق الله تعالى، وقد تبين ان من خصائص الوحي الالهي صلاحيته لكل زمان ومكان

4-ان مقولة محمد مجتهد شبستري تنفي سنة الاصطفاء واختيار الله تعالى للصفوة وبالتالي انكار ضروريات الدين بل وانكار اصل من اصول الدين وهو الامامة.

5-يؤكد الدكتور شبستري على وجوب قراءة الوحي ضمن فضاءات متعددة اي انه يؤمن بالقراءة الانسانية للوحي فاذا كان المراد قراءته بلغة يفهمها الانسان كما يظهر من كلمات محمد مجتهد شبستري خروجا من اشكال الانقطاع التام بين الانسان والوحي لتغاير حقيقتهما فهذا امر بديهي ولا يعقل غير ذلك من الوحي فهل يتصور عاقل ان الله تعالى يرسل للإنسان بما لا يفهمه او يفهمه ولكن لا ينفعه في تحقيق الهدف الذي نزل من اجله ؟كلا ،فهذا قبيح لا يصدر من عاقل فكيف يصدر من سيد العقلاء .ولا يعني ذلك ان يقرأه الإنسان بما يحلو له أو يراه مناسبا، ولا يحتاج للقول بانحصار ذلك بإعطاء الحرية للإنسان بأن يفهم الوحي كما يشاء بدعوى التغاير بينهما فالله قادر على أن يمنح الإنسان أو الوحي صفة تمكن الإنسان من فهمه ؛ فهما حلقه ووجودهما من وجوده.

وإن كان المراد هو استقلال الإنسان بقراءة الوحي دون اللجوء إلى الضوابط والاليات التي حددها مرسل الوحي فهذا ما لا يقبله العقل السليم،

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

فكيف بنفس مملوءة بالميول والانحرافات سواء الفكرية أو النفسية أو العقدية أو المصلحية أن يستند لها في فهم الوحي المنزه الذي يراد له بناء نظام صالح لخدمة الإنسان.

متى تجرد شخص عن هواه ليكتب او يفسر او يفهم ما هو اقل شأنا من الوحي فكيف بالوحي نفسه ،ولعل هذا هو الذي يحتم وجود المعصوم عليه السلام الذي لا تدخل لنفسه هذه الأمور لنقل الوحي وتفريعاته .

وعليه فأي قراءة للوحي لم تكن خاضعة للضوابط الوحيانية أو المعصومية أو المسلّمة عقلا فهي عرضة للخطأ وتدخل المصالح الشخصية والأهواء وغيرها. ومن هنا كان الاصطفاء هو الطريق الوحيد لنقل وافهام الوحي بل وتفسير ما اشتبه وصعب منه.

6-إن الوحي كما تبين في عرض خصائصه ،معجز في ذاته ومنهاج فهو يختلف عن غيره بانفصال المعجزة عن المنهج .حيث جعل هذه المعجزة وصاحبها شاهد على من قبله من الرسل والأنبياء ،وحجة على من بعده ومن يحمله امتاز كما تبين بمؤهلات لا يحملها غيره، وهذا ينافي مقولة الدكتور محمد مجتهد شبستري.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

النتائج

١-وقوع الاشتباه عند الدكتور سروش نتيجة عدم التفاته إلى الاختلاف الموجود في مفردة التجربة وانتقالها من معنى التجربة والاختبار إلى معاني أخرى مثل الإحساس والإدراك.

٢-المغالطة الواضحة التي وقع فيها كل من الدكتور محمد مجتهد شبستري، وعبدالكريم سروش وان طرحت بأسلوب مختلف وذلك بأن اسلوب الأول أقل حدة من الثاني الان النتيجة واحدة وهي القول ببشرية الوحي.

٣- أن أصحاب مدعى الوحي تجربة بشرية عاشها النبي صلى الله عليه وآله وسلم متأثرين بفلاسفة الغرب.

٤- ربما يكون الغرض من هذا الادعاء تهميش وتحجيم الثوابت الدينية.

٥- تحديد مساحة البحث العقلي أمر لازم قبل إطلاق عنان اللسان إذ ليس كل مجال للعقل فيه مسرح، والهداية النبوية تستند في كثير من مخرجاتها إلى المعرفة الوحيانية الإلهية التي لا يصل إليها العقل المحدود، بل انه يعترف بعجزه عن إدراك جملة من الغيبيات.

* هوامش البحث *

(1) ينظر: تحليل لغة القرآن وأساليب فهمه، محمد باقر سعيدي روشن ج١، ص ٣٦١-

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

٣٦٢

(2) الكلام الاسلامي المعاصر، عبدالحسين خسروبناه، ج2، ص173.

(3) ينظر: فلسفة الدين، نجوان نجاح الجدة،ص٢٨٧.

(4) ينظر: بسط التجربة النبوية، عبدالكريم سروش، ترجمة، أحمد القبانجي، الطبعة الأولى، سنة الطبع ٢٠٠٦،مكان الطبع دار الفكر الجديد العراق، ص٩-١٣.

(5) ينظر: الوحي و الظاهرة القرآنية، حيدر حب الله، ص٣٨٢-383. بسط التجربة النبوية، عبدالكريم سروش، ص10، 13، ١٦، ٢١.

(6) سورة القرة :2.

(7) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ج١ ص٢٤٠.

(8) سورة النمل:6.

(9) ينظر: الوحي و الظاهرة القرآنية، حيدر حب الله، ص٣٨٤.

(10) ينظر: الكلام الإسلامي المعاصر، عبدالحسين خسروبناه، ج٢ص١١٤

(11) ينظر: الوحي و الظاهرة القرآنية، حيدر حب الله، ص٣٨٤.

(12) ينظر: الكلام الإسلامي المعاصر، عبدالحسين خسروبناه، ج٢ص١٧٣.

(13) الكافي، الكليني، ج ١،ص ١٧٧.

(14) ينظر: الكلام الإسلامي المعاصر، عبدالحسين خسروبناه، ج٢، ص١٧٤.

(15) ينظر: مدخل الى الوحي وبشرية اللفظ القرآني, حيدر حب الله ,ص136-131.

(16) التجربة النبوية، عبدالكريم سروش، ص٨.

(17) البقرة:132.

(18) ينظر:مدخل إلى الوحي وبشرية اللفظ القرآني، حيدر حب الله، ص١٣٣.

(19) ينظر: تحليل لغة القرآن وأساليب فهمه، محمد باقر سعيدي روشن، ج١ ص٣٦١-٣٦٢

(20) الاحقاف:9.

(21) ينظر: الوحي و الظاهرة القرآنية، حيدر حب الله، ص٢٦٧.

(22) علل الشرائع، الصدوق، ج١ص٧٦.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

(23) القرآن والحديث مقارنة اسلوبية، إبراهيم عوض، ص٢٥-٢٦.

(24) ينظر:مصدر القران دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي ٨٢-١٠٣.

(25) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٧-٢٨.

(26) المزمل: 5.

(27) ينظر:هل إن الوحي القرآني بشري خاضع للتكامل والتطور، منير الخباز، تقرير سلسة محاضرات في ٢٥-٧-٢٠١٢، شبكة المنير.

(28) هرمنيوطيقا القرآن والسنة، محمد مجتهد الشبستري، ص١١٤.

(29) نقد القراءة الرسمية للدين، محمد مجتهد شبستري، ١٩٦-١٩٧.

(30) ينظر: قراءة بشرية للدين، محمد مجتهد الشبستري، ترجمة : أحمد القبانجي، منشورات الجمل، بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ،٢٠٠٩، ص ٩٤ - ١٨٩.

(31) بحار الانوار:المجلسي، ج40، ص190.

(32) ينظر: نور الملكوت ،الطهراني، ج2، ص8.

* المصادر والمراجع *

القرآن الكريم

1. بحار الأنوار، أبو عبدالله محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي المجلسي، المتوفى، ١١١٠.
2. بسط التجربة النبوية، عبدالكريم سروش، ترجمة، أحمد القبانجي، الطبعة الأولى، سنة الطبع ٢٠٠٦،مكان الطبع دار الفكر الجديد العراق.
3. تحليل لغة القرآن وأساليب فهمه، محمد باقر سعيدي روشن ،مؤسسة الإمام الحسين وحدة البحوث والكتابات.
4. الدور المحوري للنبي (ص) في عملية الوحي، منيرالخباز،٣-٩-١٤٤٣، تحرير محاضرات، ٥-٤-٢٠٢٢.
5. طبيعة النص القرآني وخصائصه عند نصر حامد وعبدالكريم سروش، دراسة نقدية،

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

أركان الخزعلي، دار روافد، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٤٢-٢٠٢١.
6. علل الشرائع، الصدوق، الوفاة ٣٨١، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، سنة الطبع ١٣٨٥-١٩٦٦م .
7. فلسفة الدين، نجوان نجاح الجدة، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٣٨-٢٠١٦ .
8. قراءة بشرية للدين، محمد مجتهد الشبستري، ترجمة : أحمد القبانجي، منشورات الجمل، بيروت - لبنان، الطبعة الاولى،٢٠٠٩.
9. القرآن والحديث مقارنة اسلوبية، إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، ١٤٢١-٢٠٠٠ .
10. الكلام الإسلامي المعاصر، عبدالحسين خسروبناه .
11. مصدر القران دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي، إبراهيم عوض
12. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي.
13. النبوة، مرتضى مطهري، ترجمة جواد علي كسار، مؤسسة ام القرى للتحقيق، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢٠.
14. نقد القراءة الرسمية للدين، محمد مجتهد شبستري، ١٩٦-١٩٧.
15. نور الملكوت ،الطهراني دار المحجة البيضاء .
16. هرمنيوطيقا القرآن والسنة، محمد مجتهد الشبستري .
17. الوحي و الظاهرة القرآنية، حيدر حب الله.
نور الملكوت ،الطهراني دار المحجة البيضاء .

* * *

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i42.14278
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي